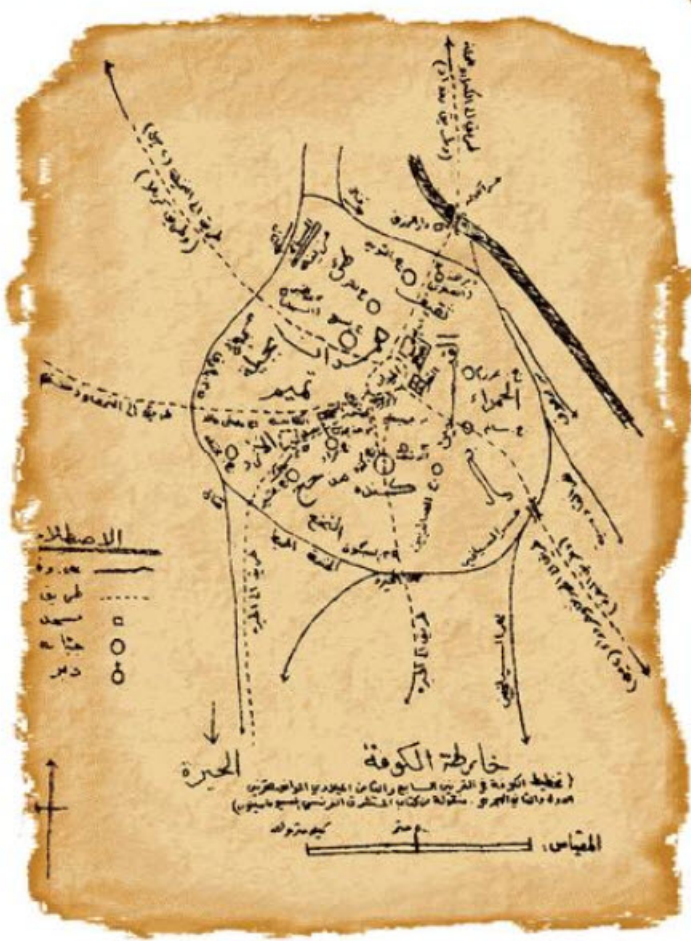


حولية الكوفة

دورية سنوية محكمة، تعنى بالدراسات والبحوث التراثية والمعاصرة المتخصصة بشؤون مدينة الكوفة ومسجدها العظيم
تصدر عن أمانة مسجد الكوفة والمزارات الملحقة به - العدد الأول - شهر رمضان ١٤٣٢هـ / آيار ٢٠١١م



١



دائرة الأوقاف والشؤون
إدارة مسجد الكوفة
والمزارات الملحقة به

المشرف العام
السيد موسى تقي الخلفي

رئيس التحرير
د. كامل سلمان الجبوري

الكوفة

في عهد الاحتلال البريطاني

الأستاذ الدكتور عماد الجواهري

رئيس جامعة القادسية

وإن نظام دعاوى العشائر المدنية والجزائية الذي وضع في عام ١٩١٦^(٣) ومشروع الاستثمار الزراعي الذي تقدم العمل به على قدم وساق خلال العام ١٩١٧^(٤) مثلاً يمكن انتقاؤها بدقة لكونهما يعكسان درجة كبيرة من الفهم الموضوعي للواقع ببعديه الاجتماعي والاقتصادي. أما بيان التحرير الذي أذيع غداة احتلال بغداد في ١١/٣/١٩١٧ فهو أنموذج لخطاب سياسي قصد به أحداث انقلاب فكري بالأقلية المتعلمة من فئة الأفندية الموالية للأتراك^(٥).

وتتويجا لعرض هذه المقدمة نقول: لقد كان من تحصيل الحاصل أن الهدف الأولي صار يعبر عنه من لدن بعض موظفي الإدارة البريطانية بتواضع وبساطة مقصودة وهو أن كل شيء يسير على ما يرام وقد تحقق فعلاً^(٦). غير أن حقيقة مضمون هذا الاتجاه من التصور يبدو على أرض الواقع مسألة كبيرة ومعقدة لكونه يعكس جهوداً مضنية أمضاها كل رجال الإدارة البريطانية من السياسيين والعسكريين في أعمال المراقبة والتقويم^(٧). إن آلاف الرسائل والبرقيات والتقارير التي لا تترك قضية من دون الوقوف عندها هي الحقيقة الوحيدة التي توازي أهميتها التاريخية الأهمية الإستراتيجية للاحتلال البريطاني للعراق، ولأن الثورة العراقية الكبرى عام ١٩٢٠ كانت صدمة كبيرة لموظفي الإدارة

(٣) طبع لأول مرة في ولاية البصرة بعد استكمال الاحتلال البريطاني في الولاية ١٩١٦ ثم جرى أعمامه على أنحاء البلاد منذ عام ١٩١٨. انظر: فاضل عوني، شرح نظام دعاوى العشائر المدنية والجزائية لسنة ١٩١٨ ميلادية وتعديلاته، (بغداد ١٩٥٥).

(٤) انظر للمؤلف: تاريخ مشكلة الأراضي في العراق ١٩١٤-١٩٣٢ ودراسة في التطورات العامة، (بغداد ١٩٧٨)، ص ٤١٤ وما يليها.

(٥) انظر: هادي طعمة، الاحتلال البريطاني والصحافة العراقية ١٩١٤-١٩٢١، «دراسة في الحملة الدعائية البريطانية» (بغداد ١٩٨٤)، صص ٢٢٢-٢٢٦، ٢٣١ وانظر أنموذجاً آخراً لتقويم ذلك في: عبد الرزاق عبد الدراجي، جعفر أبو الثمن ودوره في الحركة الوطنية من العراق، (بغداد ١٩٧٨) صص ٤٧-٤٨.

(٦) انظر هذا التقويم في:

British Colonial Office, Report-on Iraq Administrotion Oct. ١٩٢٢, P. ١٨, ١٩٢٠-Mar.

(٧) انظر ما يلي ذلك في البحث.

تقديم

اهتمت القيادة البريطانية بتنظيم شؤون الإدارة في أراضي العراق المحتلة منذ الأيام الأولى التي وطأت فيها أقدامها أرض البلاد. وعلى الرغم من أن البريطانيين قد أطلعوا سلفاً على الكثير من أحوال البلاد الاقتصادية والاجتماعية^(١) إلا أن دوام زخم الفعالية الإجرائية على المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية كان على درجة مهمة من الوضوح والتكامل، الأمر الذي يعكس حقيقة المتابعة المستمرة لمحتويات الواقع بمجمل مفرداته وأبعاده.

أن متابعة بيانات القائد العام لقوات الحملة البريطانية التي عالت عموم جوانب الإدارة المحلية ومشاكلها تقدم الدليل تلو الدليل ليس على الخبرة في إدارة الأراضي المحتلة وضمان ولاء السكان حسب، بل توجيه القوى المحلية جماعات وأفراد نمو تحمل أعباء الإدارة ونفقاتها طالما كانت هناك فرصة لفرض القناعة بأن الظروف مسؤولة عن تعليق الموقف السياسي العام في البلاد^(٢).

(١) زار العشرات من الرحالة الأوربيين العراق خلال العهد العثماني وقد جمع هؤلاء معلومات مهمة عن البلاد وأحوالها انظر الجيولوجيا الملحق بكتاب: ستيفن همسلي لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر خياط، ط ب (بغداد) ملحق بأسماء الرحالة الذين زاروا العراق، ص ٣٩٧-٤٠٨. وانظر ما نشر حوله حملة جيزني الاستكشافية في كتابة قصة حملة الفرات «المطبوع في لندن سنة ١٨٦٨». وانظر أيضاً نشاط الأنسة بيل التجسي قبل الاحتلال في الجزء الأول من رسائلها المطبوعة في لندن. وانظر لاطلاعها الواسع في شؤون العراق فقد شغلت منصب السكرتير الشرقي في دائرة المتعمد السامي البريطاني في بغداد أما يلي صون الحاكم السياسي البريطاني في السليمانية فإنه نشر كتاباً مهماً عن مغامراته قبل الاحتلال بعنوان «رحلة متكر إلى بلاد ما بين النهرين وكردستان» (ترجمة فؤاد جميل بغداد ١٩٧١).

(٢) نظر: القيادة العامة لقوات الحملة البريطانية، مجموعة البيانات والإعلانات وغيرها التي هي نافذة والمتعلقة بأهلي العراق وإدارتها الملكية (المدنية) من ١٩١٧/٣/١١ إلى ١٩٢٠/٩/٣٠ المصدرة من القائد العام أو بتفويض منه، مطبعة الحكومة، (بغداد ١٩٢١).

مدينة النجف الأشرف أو ذلك بقصد الاستفادة من المركز الديني للنجف وكربلاء وقوة الرؤساء المحليين في الشامية والحلة لتنسيق الموقف السياسي العام في الفرات الأوسط ومن ثم البلاد عامة^(٣) فلما جاءت النتيجة معكوسة (ثورة العشرين) قررت السلطات المحتلة فصل الشامية ومقاطعاتها عن النجف وإلحاقها بمنطقة الديوانية Diwanyah District وإعادة تشكيل منطقة كربلاء الإدارية بهدف إضعاف المدن المقدسة بتجريدتها من الريف العشائري المساند الخاضع لتأثيرها الديني السياسي^(٤) (إن نواحي (مقاطعات) لكوفة والتاجية وهور الدخن (الحرية) تقع اليوم ضمن الحدود الإدارية لقضاء الكوفة. والمعلومات الوثائقية التي تقدمها هذه الدراسة ترسم صورة لريف الكوفة خلال حقبة الاحتلال البريطاني في حين قضت مصلحة السلطات المحتلة تكييف وضعية إدارية تخدم مصالحها الأمر الذي يمكن القول عنه أنه بكل ما ينطوي عليه من مضامين إيجابية وسلبية يمثل جزءاً من تاريخ الكوفة وتراثها.

العشائر والرؤساء: أهمية التوجيه المعرفي بالقوى الاجتماعية

كان المجتمع العشائري يمثل غالبية المجتمع العراقي في مطلع القرن^(٥). وقد عد رجال الإدارة البريطانيون أنفسهم أصحاب خبرة مستمدة من تجربتهم الإدارية الاستعمارية في الهند. أن نظام دعاوى العشائر المدنية والجزائية الذي وضعه هنري دويس اعتماداً على تجربة روبرت ساندما R. Sandmano أحد تلامذة الاستعمار البريطاني في الهند^(٦) من شأنه الإقرار بوضعية قانونية خاصة لأجزاء البلاد المأهولة بالعشائر. والنظام المشار إليه ينطوي على تطبيق الشريعة والقوانين المدنية الحديثة لحساب العرف والعادة على المستوى القانوني ويعطي عناية فائقة برؤساء العشائر بوصفهم دعامة المجتمع العشائري وصمام الأمان فيه على المستوى السياسي^(٧).

(٣) التقييم للمؤلف أما المعلومات الإدارية فينظر: المس بيل، فول من تاريخ العراق القريب، ترجمة جعفر خياط (بغداد ١٩٧١)، ص ٢٣٣، ستيفن همسلي لونكريك، العراق الحديث من سنة ١٩٠٠ إلى سنة ١٩٥٠، ترجمة سليم التكريتي، (بغداد ١٩٨٨) ج ١ صص ١٨٣، ٢٢٤.

(٤) انظر. عبد الرزاق الظاهر، الإقطاع والديوان في العراق، (القاهرة ١٩٤٦) المبحث الخاص عن الإقطاع في كربلاء.

(٥) يقدر محمد سلمان حسن، طلائع الثورة العراقية، العامل الاقتصادي في الثورة العراقية، (بغداد ١٩٥٨) ص ١٢، نسبة العشائر إلى عدد سكان العراق أوائل القرن بـ ٨٠٪ وذلك من مجموع السكان البالغ عددهم (٢٨٢، ٨٤٩، ٢) نسمة. انظر هذه الإحصائية في:

(٦) Marvellous Mesopotamia the World's Joseph T. Parfit, Wander, (London, ١٩٢٠), P. ١٥.
(٧) انظر: Robert A. Fernce, Shaykh and Effendi, Cambridge, ١٩٧٠, P. ٣٣٧.
(٧) انظر هذا التقييم في: عماد الواهري - المصدر السابق - صص ٣٢٦-٣٢٨

البريطانية^(٨)، فإن طبيعة المعلومات التي تعالجها هذه الدراسة تنطوي على أهمية استثنائية في تقويم الأسس المعرفية (الابستمولوجية) في توجيه الإدارة البريطانية للأراضي المحتلة وفي الكشف التاريخي لعهد من عهود العراق المعاصر وهو وجه من الوجوه الذي اختصت بمعالجته وبحثه الوثائق التي أعدت لهذه الدراسة. ولا شك في أن تحليل هذه المعلومات أو حتى مجرد عرضها من شأنه أن يقرر حقيقة موضوعية أخرى وهي أن صدمة موظفي الإدارة البريطانية تبدو مسوغة لاعتبارات معرفية (ابستمولوجية) تعكسها اكراس من البيانات والوثائق التي تتضمن معلومات مناظرة عن المقاطعات العراقية كافة.

نواحي الكوفة في التقسيمات الإدارية للسلطات المحتلة

على الرغم من أن التقسيمات الإدارية العثمانية كانت أساساً مقبولا وبخاصة السناجق ومراكزها (الألوية أو المحافظات)، إلا أن السلطات البريطانية قسمت الأراضي المحتلة إلى مناطق إدارية Districts والمناطق الإدارية إلى مقاطعات أو شعب^(٩). وقد عين ضباط سياسيون Political Officers في مراكز المناطق ومأمور وشعب في المقاطعات وفي نطاق البحث قصد بنواحي الكوفة. ريف الكوفة القريب المرتبط إدارياً واقتصادياً بالكوفة نفسها. وتمتد هذه النواحي إلى مسافة تصل إلى عشرة أميال إلى يمين وشمال مركز الكوفة على ضفتي شط الكوفة الشرقية والغربية وبعمق بضعة أميال أيضاً. إن هذه الوضعية الإدارية التي تضم مقاطعات (نواحي) الكوفة والتاجية وهور الدخن (العباسية) في إقرار لواقع حال له دلالاته الاقتصادية والاجتماعية-التاريخية. أما الكوفة نفسها فإن السلطات المحتلة جعلتها جزءاً من المنطقة الإدارية المعروفة بكربلاء Karbala District (متحف كربلاء العثماني) كما تتبعها مدينة النجف الأشرف أيضاً. غير أن هذه الوضعية الإدارية سرعان ما تغيرت ففي أوائل الاحتلال (١٩١٧) قضت الضرورات الأمنية الاقتصادية أن تكون الشامية (أم البعور) منطقة إدارية District تمتد حدودها لتشمل على مقاطعات أبي صخير والمشخاب وحتى هور الدخن (العباسية) أو (الحرية).

في الجهة المقابلة للكوفة على نهر الفرات. وفي وقت لاحق تشرين الأول ١٩١٧ الحقت السلطات المحتلة بمنطقة الشامية الإدارية

(١) أشار التقرير البريطاني ١٩٢٠-١٩٢٢ المشار إليه في (٦) أعلاه إلى هذا الموضوع بوضوح: غير أن الثورة في ١٩٢٠ حطمت الصرح الذي بني بنجاح وعادت القبائل إلى حالة الفوضى التقليدية.

(٢) انظر تفصيلات واسعة في:
British Government, Reports of Administration for ١٩١٨ of Divisions and Districts of Occupied Territories in Mesopotamia. Vol. I.

وفي عموم منطقة الفرات الأوسط التي انتشر فيها أنموذج الوحدة القبلية الصغيرة، فإن رؤساء العشائر بوصفهم رؤساء العمل (ساركيل) في مناطقهم تولوا الإشراف على الأرض التي يتصرف بها أفراد العشيرة على وفق طريقة التعامل المتعارف عليها^(١) الأمر الذي أعطته السلطات المحتلة اهتمامها وكما يأتي:

المقاطعة	السراكيل وعشائريهم	تعداد نفوسهم
الكوفة	سيد هاشم ورفقاؤه (البوذبحك)	٧٠
الكوفة	عبد العبود ورفقاؤه (البو حداري)	٢٠٠
الكوفة	حسين العمران ومنصور (بلوش)	١٢
الكوفة	عبود الشطب ورفقاؤه (كريشات)	١٥٠
التاجية	مريهيج ورفقاؤه (البوماضي)، (البو صالح)	٥٠
التاجية	حاجي (الحاج) محمود وجبر ورفقاؤه	٤٠
التاجية	حاجي شاهين	١٠٠
التاجية	أفراد متفرقة (الجعافرة)	٦٠
الكوفة	دغيم البراك (الخزاعل)	٢٠٠
التاجية	محسن الحاجي عبود (البو نعمان)	٩٠
التاجية	عبود العنيد العيسى (البو سمس)	١٥٠
التاجية	جاسم الرخيص (البو سمس)	١٥٠

المقاطعة	العشيرة أو السكان	مساحة الأرض	عدد البساتين	نوع المزروعات	طريقة الري
الكوفة	البوذبحك	١٤ فدان	٢٣	شتوي وصيفي	كروود ونواعير
التاجية	البوحداري	٦٠ فدان	١٧	شتوي وصيفي	كروود ونواعير
التاجية	بلوش وكريشات	٥٠+٥٠ فدان	٢٠٨	شتوي وصيفي	كروود ونواعير
التاجية	البو ماضي	٥ فدان	١٦	شتوي وصيفي	كروود ونواعير
التاجية	حجي محمود	١٠ فدان	٣٣	شتوي وصيفي	كروود ونواعير
التاجية	حجي شاهين	١٥ فدان	٣٣	شتوي وصيفي	كروود ونواعير
التاجية	الجعافرة	١٤ فدان	٤٨	شتوي وصيفي	كروود ونواعير
التاجية	الخزاعل	٤٠ فدان	١٦	شتوي وصيفي	سيح كروود
التاجية	البو نعمان	١٠ فدان	٣٩	شتوي وصيفي	سيح كروود
التاجية	البو سمس (عبود العبد اليمه وجاسم الرخيص)	١٥+١٢ فدان	٦٠	شتوي وصيفي	سيح كروود
التاجية	البو شيخ مشهد	٢٠ فدان	٦٠	شتوي وصيفي	سيح كروود
التاجية	البو جدع (ناصر العبد اليمه)	٢٤ فدان	٩١	شتوي وصيفي	سيح كروود

(١) انظر على سبيل المثال:

المقاطعة	العشيرة أو السكان	مساحة الأرض	عدد البساتين	نوع المزروعات	طريقة الري
التاجية	البو جدع (جاسم الحمادي)	٢٤ فدان	٩١	شتوي وصيفي	سيح كرود
التاجية	خمية (علي الجبر)	٦ فدان	٩١	شتوي وصيفي	سيح كرود
التاجية	خمية (زويج)	٦ فدان	٩١	شتوي وصيفي	سيح كرود
التاجية	خرخيت	١٦ فدان	٩١	شتوي وصيفي	سيح كرود
التاجية	مصيخنة (حمود الحسين وكزار)	٨+٨ فدان	٩١	شتوي وصيفي	سيح وكرود
التاجية	أبو صناع (شراد وسيد شريف)	١٢+١٢ فدان	٩١	شتوي وصيفي	سيح وكرود
التاجية	حسن المحمد	١٠ فدان	٩١	شتوي وصيفي	سيح وكرود
التاجية	عبد الله الحاج صكر	٣٠ فدان	٩١	شتوي وصيفي	سيح وكرود
هور الدخن	المواش	٤٠ فدان	٩	شتوي وصيفي	سيح وكرود
هور الدخن	البو حداري	٥٠ فدان	١٨	شتوي وصيفي	سيح وكرود
هور الدخن	البو ذبحك	٥٠ فدان	٢٠	شتوي وصيفي	سيح وكرود
هور الدخن	شوافع	٦٠ فدان	٦	شتوي وصيفي	سيح وكرود
هور الدخن	شرمان	١٢ فدان	٢	شتوي وصيفي	سيح وكرود
هور الدخن	الجعيطة	١٣ فدان	٥	شتوي وصيفي	سيح وكرود
هور الدخن	سيد موسى	٦ فدان	١	شتوي وصيفي	سيح وكرود
هور الدخن	الدليهم	٢٠ فدان	٥	شتوي وصيفي	سيح وكرود
هور الدخن	عربية	١٠ فدان	٣	شتوي وصيفي	سيح وكرود
هور الدخن	البو اعزيب	١٥ فدان	١	شتوي وصيفي	سيح وكرود
هور الدخن	البو حسين	٥ فدان	١	شتوي وصيفي	سيح وكرود
هور الدخن	الحواتم	٣٠ فدان	٥	شتوي وصيفي	سيح وكرود
هور الدخن	قزوينية	٣٥ فدان	١٠	شتوي وصيفي	سيح وكرود
هور الدخن	حجام	٣٥ فدان	٢٠	شتوي وصيفي	سيح وكرود
هور الدخن	البو سلام	٥٠ فدان	٢	شتوي وصيفي	سيح وكرود
هور الدخن	البو عارف	٤٠ فدان	٢	شتوي وصيفي	سيح وكرود
هور الدخن	المحنة	٢٥ فدان	٣	شتوي وصيفي	سيح وكرود
هور الدخن	أم اشباب	٢٠ فدان	١	شتوي وصيفي	سيح وكرود
هور الدخن	أخبارية	٦ فدان	١	شتوي وصيفي	سيح وكرود
هور الدخن	الخدية	٣٠ فدان	٥	شتوي وصيفي	سيح وكرود
هور الدخن	البو اعريف	١٥ فدان	٥	شتوي وصيفي	سيح وكرود
هور الدخن	الحواتم	٣٠ فدان	٦	شتوي وصيفي	سيح وكرود
هور الدخن	العباس	٣٣ فدان	٣	شتوي وصيفي	سيح وكرود
هور الدخن	شراد	١٥ فدان	٨	شتوي وصيفي	سيح وكرود
هور الدخن	العريدات	١٠ فدان	١	شتوي وصيفي	سيح وكرود

المقاطعة	السراكيل وعشائره	تعداد نفوسهم
التاجية	ناصر العبد اليمه (البو جدع)	٥٠٠
التاجية	جاسم الحمادي (البو جدع)	٥٠٠
التاجية	علي الجبر (خميه)	٥٠٠
التاجية	زوبع (؟) (خيمه)	٥٠٠
التاجية	عليوي العبود (خرخيت) (؟)	٥٠٠
التاجية	حمود الحسين (مصيخنة)	
التاجية	كزار (مصيخنة)	
التاجية	شراد (البو صناع)	
التاجية	سيد شريف (البو صناع)	
التاجية	حسن محمد وسيد حسون الكطفه	
التاجية	عبد الله الحاج صكر	
هور الدخن	أبو صالح ومريهيج ورفقائه (المواش)	٢٥٠
هور الدخن	عودة الزباله ورفقائه (البو حداري)	٢٥٠
هور الدخن	سيد هادي (آل) حبوبي ورفاقه (البو ذبحك)	٦٠
هور الدخن	سيد طاهر سيد وداعة ورفاقه (شوافع)	١٩٠
هور الدخن	جاسم الحمادي (شرمان)	٤٠
هور الدخن	محمد الفارس (الجعيطة)	٦٠
هور الدخن	سيد حمداوي (سيد موسى)	٢٠
هور الدخن	سلمان الحميد ومزعل ورفاقه (الدليم)	١٢٠
هور الدخن	حسون البلوط وسيد زبير (عربية)	٣٠
هور الدخن	جابر وزباله (البو عزيز)	١٠٠
هور الدخن	محمود الحسن (البو حسين)	٥٠
هور الدخن	سلمان الفاضل ودرويش ورفاقه (الحواتم)	٢٥٠
هور الدخن	سلمان الفاضل ودرويش ورفاقه (قزوينية)	٦٠
هور الدخن	أبو شون وحاجي داود وعبد زيد (حجام)	١٠٠
هور الدخن	دبعون السلطان ورفاقه (البو سلامة)	٢٠٠
هور الدخن	عطشان ورهمه ورفاقه (البو عارض)	١٩٠
هور الدخن	سيد علي وسيد عزوز (المحنة)	٦٠
هور الدخن	سيد عيسى وسيد عبود (أم اشباب)	٣٠
هور الدخن	سيد حسين نصر الله (اخبارية)	٢٠
هور الدخن	كاظم الهزام وسيد عاجل وسيد موسى (الخدية)	٩٠
هور الدخن	هاشم الوطبان ورفاقه (البو عرف)	٦٠
هور الدخن	جبار الحسن وسعدون ورفاقه (الحواتم)	١٥٠
هور الدخن	خادم الغازي وسيد إبراهيم ورفاقه (العباس)	١٥٠
هور الدخن	سيد علي السيد صافي	٤٠
هور الدخن	حجي محمد ورفاقه (العريدات) (؟)	٤٥

الاحتلال. كما أن من تحصيل الحاصل أن تكون المعرفة بطريقة الأرواء المتبعة ونوع المحاصيل المزروعة من الضرورات اللازمة لتوجيه أية سياسة مالية على وفق مصلحة إيجابية عموماً وربما سلبية عند الضرورة^(٥).

والأ نموذج الذي تتناوله هذه الدراسة يقدم صورة واضحة عن كل ذلك، أنها صورة ريف الكوفة... صورة واضحة دقيقة التفاصيل تتناول مساحة الأراضي التي يشرف عليها السراكل وتقطعها العشائر المذكورة. ويظهر فيها عدد البساتين فضلاً عن أنواع المحاصيل الشتوية والصيفية، وأساليب الري المتبعة. ولما كانت وحدة المساحة المثبتة في الوثائق هي الفدان فإن معظم الأراضي المعنية بالدراسة هي من صنف الأراضي المملوكة ولذلك فإن الحقوق الرئيسية فيها هي الطابو والملاكية في حين تظهر حقوق أخرى للمفارس والتعاب والفلاح حسب نوع المحاصيل مما سيرد ذكره مفصلاً في ملحق الفقرة الآتية^(٦).

لقد بلغ المجموع الكلي لمساحة الأراضي في مقاطعتي الكوفة والتاجية وهور الدخن على وفق وحدة المساحة (فدان الطابو) يساوي «٢٠» هكتار أو (٨٠) دونم^(٧) (١٠٤١) فدان ومجموع بساتينها (٨٣٩) بستاناً وكما يأتي:^(٨)

تجري عن دقائق وتفاصيل الواقع

الاجتماعي-الاقتصادي

لم تبلغ أية وثيقة من الوثائق التي وصلت إلينا الأهمية التي تنطوي عليها وثيقة «دفتر مقاطعة هور الدخن» فهذه الوثيقة تحتوي على مسح شامل للمقاطعة من نواحيها كافة التاريخية والاقتصادية والاجتماعية، إن الدفتر المشار إليه عبارة عن مجموعة من الأسئلة بلغ مجموعها (٨٠) سؤالاً. وقد نظمت الاجوبة في جوارها بصورة مقتضبة مؤدية لغرض السائل. وواضح من أسلوب الأسئلة وتنوعها رغبة السائل في الحصول على أدق المعلومات. ومع ذلك فإنه لم يفته التأكيد بحزم على رغبته هذه:

«من ترتيب هذا الدفتر يجب على المأمورين أن يصغوا إلى التعليمات والسؤالات التالية كل الاصغاء ويجب أن يدونوا مواداً أخرى مفيدة ومهمة»^(٩).

(٥) انظر ما يلي في البحث

(٦) انظر ما يلي في البحث (دفتر مقاطعة هور الدخن) وثيقة لاحقة.

(٧) جدول تحويل المقاييس في ولاية بغداد وفي المقاييس العراقية والأوزان والمقادير الانكليزية معتبرة في الدوائر المالية. وثيقة منشورة في كتابنا، المصدر السابق صص ٤٨١-٤٨٣.

(٨) بيان مقاطعة الكوفة والتاجية، وثيقة سبقت الإشارة إليها.

بيان مقاطعة هور الدخن، وثيقة سبقت الإشارة إليها.

(٩) دفتر مقاطعة هور الدخن وثيقة محررة في ١٩١٧/١٢/١٢. من محفوظات المركز الوطني للوثائق، بغداد الملف ٥٦٧٣٤ تسلسل ١٦.

في ضوء المعلومات التي تكشف عنها وثائق الاحتلال بلغ عدد الرؤساء والوجهاء المتنفذين المشار إلى أسمائهم الصريحة (٦٧) شخصاً^(١) كما يمكن الاستنتاج في ضوء مساحات الأراضي والبساتين أن المقصود بالنفوس هو عدد الفلاحين من رجال العشائر العاملين في الأراضي وقد بلغ عددهم في مقاطعة الكوفة والتاجية (١٨٨٠) رجلاً^(٢) وفي مقاطعة هور الدخن (٢٦١٥) رجلاً^(٣) أن معظم العشائر الساكنة في المقاطعات المذكورة من بني حسن التي تمتد مساكنها شمالاً باتجاه الكفل والحلة والهندية. ومعروف أن مشيخة بني حسن كانت حينئذ بيد شيخها ذائع الصيت عمران الزنبور الذي اختصته السلطات البريطانية بالرعاية والحظوة لكونه أحد عناصر المحافظة على الأمن في الفرات الأوسط^(٤). أما العشائر الأخرى المشار إليها في المعلومات الوثائقية فينتهي بعضها إلى الجبور وهي على رأس القبائل المشتتة في أنحاء القطر التي تتركز في منطقة الفرات الأوسط على امتداد شط الحلة بين القاسم ومليمة (السنية). وتنتمي عشائر أخرى إلى الخزاعل وحجام والفلة فضلاً عن عشائر السادة من قبيل المحنة والبوذبحك.

وتيسر هذه المعلومات حول عناصر التوجيه والتأثير الاجتماعي والاحصائي عن حجم الامكانيات البشرية الموجودة تحت تصرف هذه العناصر تقرير السياسة الواجبة على ضوء الظروف.

استقصاء الإمكانيات المادية للقوى

الاجتماعية

يعد استقصاء الامكانيات المادية للقوى الاجتماعية المسألة الثانية التي لا بد من حسابها وتقديرها تقديراً صحيحاً في ظروف السلام والحرب. ولا شك في أن الأمور التي تترتب على ذلك عديدة يأتي في مقدمتها الاعتبارات ذات الصلة بأمن قوات الاحتلال والايادات المطلوب تحقيقها لمصلحة السلطات المحتلة والوسائل اللازمة للتأثير في توازن القوى العشائرية أو أحداث التخلخل فيما بينها عندما تقتضي ذلك مصلحة سلطة

(١) ينظر: بيان مقاطعة الكوفة والتاجية في ١٩١٧/١٢/٧ وانظر أيضاً بيان مقاطعة هور الدخن في ١٩١٧/١٢/٨. محفوظات المركز الوطني للوثائق بغداد. الملف ٥٩٣٤ تسلسل ١٦.

(٢) بيان مقاطعة الكوفة والتاجية. (الوثيقة بيان مقاطعة الكوفة والتاجية)

(٣) المصدر نفسه. الوثيقة بيان مقاطعة (هور الدخن)

(٤) انظر: British Government, Administration Report of the Hilla Division for the year ١٩١٩, Baghdad, ١٩٢٠, P. ٢.

وبخاصة ما يتعلق بنفوذ الشيخ عمران ودوره في المحافظة على الأمن في المناطق التي تسكنها عشائرها من بني حسن. وتابع دور عشائر بني حسن أثناء الثورة العراقية ١٩٢٠ في محاصرة الكوفة وتحرير الكفل وطوريج وسدة الهندية في عبد الرزاق الحسيني. الثورة العراقية الكبرى ط٣ (صيدا ١٩٧٢)، صص ١٤٩-١٥٥.

التساؤلات المثيرة التي تعبر عن ذلك:
أي حقوق وواجبات توجد بين السكان؟
مع أي العشائر تتزوج الأهالي؟
مع أي العشائر تعتبر الأهالي الزواج غير مستحب؟
أوجد أغنيات تقال عند تنويم الطفل في المهد؟
أوجد عوائد (عادات) خصوصية تجري في الولادة والزيجة والموت؟
ما هي الأمثال السائرة؟
هل أن الأهالي متيسرو الحال؟
ما هي البيوت التي يسكنونها؟
هل يلبسون ثياباً جديدة وحلي؟

أما الجانب الاقتصادي بابعاده المختلفة التي تشتمل على أنواع المحاصيل وأصناف الأراضي والأسس التي يقوم عليها نظام المحاصيل في المنطقة وأحوال السوق المحلي بما فيها الأسعار والأجور والقروض وفوائدها والموازن والمكاييل فإن الأسئلة حولها استغرقت معظم الفقرات المشار إليها في الوثيقة (انظر النص المحقق) الأمر الذي لا نرى ضرورة إلى تكراره في حين يعكس توسع السائل بهذا الجانب وتنوع ملاحظاته عنه أهمية تكاد تكون شاملة نظراً لدلالاتها على الواقع الاجتماعي من ناحية ولا أهميتها في توجيه سياسة السلطة المحتلة من ناحية أخرى^(٤).

خاتمة

توكيد الاستنتاجات في ضوء التقرير الإداري العام نشرت الحكومة البريطانية في وقت لاحق (١٩١٩) تقريراً شاملاً عن إدارة الأراضي العراقية المحتلة. وق ظهر التقرير على شكل كتاب مجلدين ضخمين يحملان العنوان الآتي:
Reports of Administration for ١٩١٨ of Divisions and Districts of Occupied Territories in Mesopotamia. Two Vols.

«تقارير الإدارة لعام ١٩١٨ حول المقاطعات والمناطق الإدارية لأراضي ما بين النهرين المحتلة» بجزئين.

إن ظهور هذا الكتاب الشامل عن الإدارة البريطانية بكل ما ينطوي عليه من وصف دقيق لمفردات الواقع الاجتماعي والاقتصادي في إطار مهمات إدارية تولتها سلطة بريطانية محتلة يعكس قطعاً رغبة حقيقية في البقاء.

لقد كان مؤتمر السلام المنعقد في باريس سنة (١٩١٩) فرصة تاريخية للإعلان غير المباشر أو المباشر إذا اقتضت الضرورة ذلك عن هذه الرغبة البريطانية. والتقرير الإداري الشامل للعام ١٩١٨ يتجاوز دلالات الإشارة الواضحة المفهومة المقاصد، إنه رسالة للانكليز ولحلفائهم أجمعين.

(٤) المصدر السابق، ص ١٣-١٦.

ويعد النص المدون باللغة الانكليزية ذا أهمية كبيرة ليس لأنه يقدم لنا توضيحاً مفيداً للعديد من الأسئلة والتعابير غير المفهومة المدونة بالعامية حسب^(١) بل لأنه يدل على نحو قاطع أن المعلومات المقدمة قد حولت فعلاً إلى (بنك المعلومات) الذي أوجدته سلطات الاحتلال. وهكذا يبدو جلياً أن الوجود البريطاني كان يسعى نحو التحري عن المفردات الجزئية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المجتمعين الحضري والريفي على السواء. إن هذا التوجه انطوى بلا شك على أغراض سياسية بعيدة المدى تتجاوز الأهداف المعلنة للحملة البريطانية على العراق خلال الحرب العالمية الأولى^(٢).
أن قراءة منهجية موافقة يخدم قطعاً فكرة تقويم المعرفية (الابستمولوجية) لتوجيه الإدارة البريطانية للأراضي المحتلة وكما يأتي^(٣)

أ- مجموعة الأسئلة وتضم تسع مجموعات تشتمل على:
تاريخ المقاطعة وعوائدها (ما اعتاد عليه الأهالي)، الزراعة والمحاصيل الرئيسية، الرسوم الاعتيادية، المواصلات، التجارة، الاثمان والاجور فضلات الغلة، الحالة الراهنة للأهالي.
ب- مجموعة الأجوبة وتعكس أغلبها استيعاب السؤال على الوجه المطلوب في حين تعكس بعض الأجوبة عدم فهم قصد السائل أو البرم بأسئلته.
أن الأبعاد السياسية الادارية والأمنية تظهر في مطالب عديدة توضحها الأسئلة في جانب والأجوبة الممكن الحصول عليها في جانب آخر:

من أي عشيرة هم الأهالي؟

من هم أصدقاؤهم؟

من هم أعداؤهم؟

هل أن الأهالي هم فلاحون أذكاء؟

هل يقبلون استعمال أساليب جديدة؟

هل هم نشطون في تنظيف قنوات الأنهر؟

كم مشحوف يوجد؟

هل تصنع في المحل ذاته؟

ما هو قرب السكة الحديدية؟

وهل يكون فتحها نافعا؟

ويحظى موضوع الفهم النفسي الاجتماعي بأهمية كبيرة أيضاً وفي ضوءه يتم تحديد السياسات والتشريعات الضرورية بوصفها متطلبات واقعية لا غنى عنها، ومن هنا تأتي

(١) Hor Al Dukhun Muqata'a الملف نفسه

(٢) انظر ما سبق في الهامش رقم ٥ ومنتته على أصل البحث.

(٣) انظر نص الوثيقة: من تاريخ الاحتلال البريطاني للعراق، تقرير مقاطعة هور الدخن مجلة الجامعة، جامع الموصل العدد الثالث السنة التاسعة صص ١١-١٧. بقلم المؤلف.